

تاريخ قبيلة ذوي المنيع في منطقة جنوب الغربي الجزائري

History of the Dwi Mine tribe in the south western Algerian region

ط.د بلغازي سعاد^{*1}

¹ جامعة طاهري محمد - بشار (الجزائر), souad.belghazi@univ-bechar.dz

تاريخ النشر: 2023/06/18

تاريخ الاستلام: 2022/01/01

ملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية التركيبة المجتمعية في منطقة الجنوب الغربي، والذي ارتكز على نظام القبيلة في تنظيم وتنسيق حياة أفرادها وفق أعراف وقوانين جماعية مما أعطى للمنطقة صبغة خاصة ومتنوعة. وهذا ما يكشف لنا عن طبيعة المرجعيات التي يقوم عليها أي مجتمع. ما يطرح لنا إشكالية هذا التنوع الذي يضفي قيم متباينة وخصوصيات عامة بين مختلف مناطقه. وقد وقفنا في هذا المقال على قبيلة ذوي المنيع كمجتمع قبلي في منطقة الجنوب الغربي، من حيث النشأة والتكوين وشروط البقاء والاستمرار، حيث شكلت فيه هذه القبيلة النواة الأساسية التي منعت من خلالها كل الظروف حتى الاستعمارية منها في تفكيكها وإنهاء مهامها.

كلمات مفتاحية: القبيلة، النظام، الولاء، الجماعة، ذوي المنيع.

Abstract:

This research paper deals with the structure of society in the southwest region, which was based on the tribe system in organizing and coordinating the lives of its members according to collective norms and laws, which gave the region a special and diverse character. This is what reveals to us the nature of the references upon which any society is based. This poses to us the problem of this diversity, which confers different values and general peculiarities between its various regions. And the conditions of survival and continuity, as this tribe formed the basic nucleus through which all conditions, even colonialism, prevented them from disintegrating.

Keywords: Tribe; System; Loyalty; Group; Dwi Mie

1. مقدمة :

تشكل البنية الاجتماعية في الجزائر أساسًا من القبيلة والعرش، فالمجتمع الجزائري بعنصرية الامازيغي والعربي كان تنظيّمه منذ القدم قبليًا ويخضع لسلطة تقليدية (شيخ القبيلة أو الزاوية)، لهذا تُعتبر منطقة الجنوب الغربي بأطرها الحضارية المختلفة أرض تاريخ وحضارات لها صورة عجيبة بما تحمله أرضها وجغرافياتها وشعبها من ثقافات عريقة وعادات وتقاليد، أدّت إلى تميّزها في العطاء الديني والأدبي والعمراني. ممّا جعلها تنسم بجمالية الفضاء الأنثروبولوجي والذي أعطى نُظم جديدة في تشكيل مجتمع وفق نظام سكاني منتظم تقوده القبيلة كمؤسسة لها مرجعيات ومبادئ، وضمن قوانين فردية وجماعية. هذه الأخيرة التي ارتبطت بجغرافية هذه المنطقة وفق أُسس علاقة التأثير والتأثير، أخذت فيه قبيلة ذوي المنيع حيزاً كبيراً من خلال المجال الجغرافي الذي عمّرتّه وأدوارها المختلفة التي جسّدتّها بحكم بدويتها وأعرافها، ما يطرح لنا الإشكالية التالية: ماهية القبيلة؟ وعلى أيّ أُسس اعتمدت في بناء مكوّناتها وفق نسق اجتماعي يلائم خصوصيات المنطقة؟ ما يجعلنا أمام التساؤلات التالية: ما أصل قبيلة ذوي المنيع؟ وأين تكمن أسباب استقرارها بالجنوب الغربي؟ كيف أثّر نسقها الاجتماعي على شروط بقاءها؟ لهذا اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي التحليلي لفهم خلفيات تكوّن هذه القبيلة وتفسير مرجعيات ولاء أفرادها لها واستمرار وطنية بقاءها رغم التّحديات التي عرفتها.

2. ماهية القبيلة:

اختلف المؤرخون والاجتماعيون في ضبط مفهوم موحد للقبيلة وهذا لاختلاف الإيديولوجيات والمرجعيات الفكرية والعلمية وفق كل تخصص، لكن اشتركت في كون القبيلة ظاهرة اجتماعية تُمثل دائرة الحياة للعديد من المجتمعات المُحاطة بسياج من التقنيات والسلوكيات التي تحفظ للمنتمين إليها حياتهم واستقرارهم وتطورهم (مزوري، 2017: 217) فكانت البناء الأوّل الذي قامت عليه المجتمعات فهي بذلك تمثل وحدة اجتماعية التي يقوم عليها كيان المجتمع في المناطق الصحراوية، حيث تملك القبيلة رصيد إيديولوجي "أنثروبولوجي" اندماجي يقوم على أُسس النسب أو رابطة الدم. وعلى الرغم من هذه الروابط تستقبل القبيلة الأصلية أعدادا من الوافدين انضمت إلى عائلة عن طريق التحالف والولاء، سواء كان فردياً أو جماعياً بحيث تبقى الرابطة الدموية

الإحيائية هي الأقوى. (برشان، 2016: 155) لكن على حسب العلامة ابن خلدون فقد ركّز على بنية القبيلة من مفهوم العصبية، لما يمثله من أهمية في تشكيل اللحمة القبلية وجعل في مُقدمتها مسألة النّسب الذي عبّر عنه بطريقة رمزية بمعنى أن النّسب الذي يجمع أفراد القبيلة لا يقوم على روابط دم حقيقية دائما. (ابن خلدون، 2004: 90). في المقابل يُشير أحد الباحثين أنّ النّسب هنا لا يعدّو أن يكون معطى وهي على -حد تعبيره- لا يصمد أمام وقائع الاختلاط وعلاقات الجوار من جهة أخرى مشيرا إلى دور العامل الجغرافي والاجتماعي والسياسي في تبلور الوعي بمصلحة عامة ومشتركة، تشد جميع أعضاء القبيلة لما تستلزمه الحياة الجماعية من الدفاع عن الملكية الجماعية ضد الخطر الخارجي، مما يُضفي الإحساس بانصهار ضمن مجموعة ويعزز تلاحمها الداخلي. (العريج، 1984: 144-145). إذن فالقبيلة عبارة عن إتحاد يمتاز من الناحية المورفولوجية بالقدرة على الاستمرار من خلال الروابط القائمة بين أفرادها، والتي أوجدت هذا الإتحاد داخل القبيلة الواحدة ما ينبثق عنه الشعور القوي بالوحدة، إضافة إلى رابطة الدم بالأرض التي تعيش عليها أي قبيلة ما أضفى عليها وحدة الهدف، والمصير، ونمط المعيشة المشتركة التي تتعلق بالتاريخ والحضارة واللغة والدين. (الغامدي، 1990: 51) فسارت كمؤسسة منتظمة ومنضبطة سواءً من خلال علاقاتها مع أفرادها أو علاقاتها مع غيرها، حيث تمكنت من صياغة ترسانة من القوانين والنُظم والأعراف في مختلف الجوانب السياسية، والاجتماعية، والعسكرية وكذا الثقافية والاقتصادية. لتعزز بذلك روابط بين أفرادها وتضمن الولاء لها، وبالتالي تُحقق استمرارية البقاء. وفي الموسوعة العربية الميسرة نجد التعريف التالي: "القبيلة مجموعة من الناس يتكلمون لهجة واحدة ويسكنون إقليما واحدا مشتركا يعتبرونه ملكاً خاصا بهم". (غريال، 1987: د ص)

واما قاموس علم الاجتماع فيقدم ثلاثة مفاهيم يمكن اجمالها في الآتي:

✓ القبيلة تمثل نسقا في التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية مثل القرى والعشائر وتقطن القبيلة عادة اقليما معيناً ويكتنفها شعور قوي بالوحدة والتضامن يستند الى مجموعة من العواطف الأولية.

✓ القبيلة تمثل تجمعا كبيرا أو صغيرا من الناس يستغلون اقليما معيناً ويتحدثون اللغة نفسها وتجمعهم علاقات اجتماعية خاصة متجانسة ثقافيا.

✓ القبيلة تمثل وحدة متماسكة اجتماعيا ترتبط بإقليم، وتعتبر في نظر أعضائها ذات استقلالية سياسية. (بوطالب، 2002: 247).

3. قبيلة ذوي المنيع الأصل والاستقرار:

1.3 الأصل:

خلال الزحف العربي نحو إفريقيا اعتبرت اغلب القبائل العربية الموجودة بالشمال الإفريقي منحدره من أصول ثلاث وهي: بنو هلال، بنو عامر، بنو صعصعة، وجماعة بنو سليم بن منصور، وجماعة بنو معقل، وقد دخلت الجماعتان (بنو هلال وبنو سليم) وتوزعت على أقطاب مختلفة من الربوع، إذ قبل ذلك كان بنو هلال يقطنون بناحية الطائف بشبه جزيرة العربية وبنو سليم باحواز المدينة المنورة ثم انتقل الفريقان إلى البحرين وعمان. (حركات، 1984: 274)

دخلت هذه القبائل المتفرقة وتوزعت على مناطق مختلفة الربوع الإفريقي، حيث اتخذت مواطن متعددة وفي كل مرة تُغيّر مكانها في البحث عن أسباب الاستقرار واهتمت القبائل المنصوية تحت هذين الفريقين بالترحال والحياة الرعوية إذ حاول الموحدون تحويل هذه القبائل من النشاط الأول إلى حياة الاستقرار والتمدن، غير أن هذه المحاولة لم تستقر بسبب التقلبات السياسية والضغط الاقتصادي الذي مارسهما بنو هلال. والجزير بالذكر أن قسماً من تلك القبائل عانق دعوة الفاطميين، فنقلهم هؤلاء إلى شرق النيل ولما ساءت العلاقة بين المعز بن باديس الصنهاجي والمستنصر الفاطمي تنصل المعز من دعوتهم فعمل المستنصر على ترحيل قبائل بني هلال (ذوي المنيع، أولاد جرير، العمور) إلى إفريقيا، حتى يقضوا على الصنهاجيين وقد أعجب هؤلاء العرب بخصوبة إفريقيا ونزل بنو سليم بليبيا واستقر بنو هلال بالجزائر. (حركات، 1984: 278) وكان من بين هذه القبائل قبيلة ذوي المنيع والتي تُعتبر من أهم قبائل بني هلال، حيث وصلت إلى شمال إفريقيا مع جماعة بني سليم بن منصور وجماعة بنو معقل. فقبيلة ذوي المنيع هي إحدى فروع الجماعة الهلالية من عامر بن صعصعة، وهي من فصائل الأئيج: علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف بن هندج بن مُشرق بن أثيج فبعد هجرة قبيلة ذوي المنيع من المشرق العربي ضمن قبائل المنصوية تحت جماعة بني هلال واستقرت بالجنوب الغربي الجزائري بمنطقة الساوره تحديدا بقرية العبادلة. (بوزيان، 1987: 65).

لهذا تشير أغلب الدراسات الأدبية والتاريخية إلى أن أصل تواجد قبيلة ذوي المنيع بمنطقة الجنوب الغربي إلى القرن العاشر ميلادي، حيث يُرجَّحون في دراساتهم إلى أن فترة ظهور أصل كلمة ذوي المنيع والتي تعني في القواميس اللغة العربية العزيز الشديد الذي لا يُقهر ولا يُغلب، وهي مشتقة من كلمة المنيع (بعالي، دس: 16). أما الدراسات التاريخية تربط تواجد أصل ذوي المنيع بمجيء عبد الكريم بن محمد اليمني المدعوب عدّي المنيعي إلى شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن العاشر ميلادي، رفقة عشرين من أقربائه مرافقين الشريف الحسن بن القاسم إلى منفاه ببلاد المغرب وبالضبط في سجلماسة بتافيلالت. وفور إنتهاء مهام عُدي المنيعي ومن معه قرروا الاستقرار على شاطئ المحيط الأطلسي بعيدا جدا عن موطن أجدادهم من سلالة العرب "المعاقل". وهذا ما يؤكد المؤرخة حليلة بن كرمي من كتاب قبائل عرب سايس استنادًا على الرواية الشفوية: "تعتبر الرواية الشفوية أن جدهم الأول هو سيدي مناع وكانت هذه القبيلة في الأصل مستقرة بالساقية الحمراء بمنطقة أم دريكة ولما دخل الاستعمار الإسباني المنطقة غادروها." وعلى حسب روس إ.دان: "أن ذوي المنيع مُتكونة من مجموعات معقلية مختلفة ومن أحلافهم أو من استجار بهم....." (إ.دان، 2006: 18). ومع مر القرون تطوّر عددهم ضمن مجموعة مُحكمة التنظيم محافظة بذلك على عاداتها العربية تحت اسم ذوي المنيع دون أن يؤثر فيهم احتكاكهم بالقبائل البربرية (بعالي، دس: 19)، كما يُوجد رأي آخر لابن خلدون يرى فيه أن: "قبيلة ذوي المنيع هي من قبائل بني عامر وتنتمي إلى المنيع بن مغيث بن محمد بن الغريب بن الحارث. أو الحرث بن عامر بن مالك بن زغبة بن أبي ربيعة بن ناهيك بن هلال بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان" (ابن خلدون، 2004: 177). لكن معظم الدراسات التاريخية ترى أن دراسة هنري لامارتيينيير (أنظر التعليق رقم: 1) هي الأرجح باعتباره عايش المنطقة واحتك بسكانها ودّون تفاصيل معيشتها بدقة، وهذا ما يستدل به شيوخ المنطقة إلى اليوم بتصريحاتهم. أنّ أصلهم الأول من اليمن وتواجدتهم بالجنوب الغربي يرجع إلى هجرتهم إليها واستقرارهم بمنطقة قير وذلك حوالي سنة 1600م، حيث امتدت مراعيهم من الحدود المغربية غربا إلى وادي الناموس شرقا. كما تخضع للتقسيم المتعارف عليه في كل قبيلة. (مزوري، 2017، 214).

2.3 التسمية:

أخذت القبيلة هذا الاسم نسبة إلى جدّها الأكبر مناع. (عبد الله الورغيني) ويُلقب بعبد الله "رجل الجمال" أما عن تسميته هذه فيُحكى أنه خلال نهاية القرن 13 عشر ، غادر عبد الله الورغيني الينبوع على رأس عشيرته متجّها إلى سجلماسة. حيث التقى بالشريف الفلالي المولاي حسن الأوّل وفي طريقهما اعترضهما عصابة من اللصوص وقطاع الطرق، وحمله عبد الله على كتفه أثناء عملية المطاردة بدأ الشريف يُردّد: "امنع، امنع، امنع، يا مناع....." فمُنذ ذلك الوقت لُقّب الورغيني بالمناع وعرفت قبيلته بذوي المنيع (بوزيان، 1987 : 2) القصة بين الرواية الشفوية لذوي منيع وما هو مكتوب في السطور عند مؤرخي السلاطين المغاربة خلال السفر إلى الحج من سجلماسة إلى مكة كانت ينبوع النخيل ممر للحجيج ومن بينهم سكان المغرب وكان القاسم ابن محمد من سادة ينبوع النخيل. للعلم ينبوع النخيل قرب المدينة النبوية وهي قريبة من البحر، فطلب حجيج سجلماسة من القاسم ابن محمد أن يبعث معهم أحد أبنائه فبدأ يسأل أبنائه _ لي يدير فيك الخير واش دير فيه ولي يدير فيك الشر واش الدير فيه ، وكانت أحسن إجابة عند ابنه الحسن وكان عمره 60 سنة وكان صاحب علم ودين وخبرة، فقال: " لي يدير في الخير ندير فيه الخير ولي يدير في الشر ندير فيه الخير حتى يغلب خيري شره." فابتهج القاسم وبعث معهم الحسن وكان من أتى به هو سيدي مناع وأبو إبراهيم العمري مع مجموعة من حجاج سجلماسة. وخلال الرحلة تعرضت للقافلة قطاع طرق فحينها قام مناع بتهريب الحسن ابن القاسم وإيصاله لبر الأمان ومنها قال لي: "نجاني هو مناع الله يجعله مناع في مناع". ودفن المناع مع الحسن في مكان واحد. وهنا تذكر حليلة بنكرعي "تعتبر الرواية الشفوية أنّ جدّهم الأوّل هو سيدي المناع " (بنكرعي، 1999 : 24).

3.3 المجال الجغرافي لقبيلة ذوي المنيع:

إن التنظيم القبلي المتجدر قد غدّته الهجرات العربية بعدما أسلمت وبالأخص لما تعرضت بلاد المغرب الإسلامي إلى زحف القبائل العربية (بني هلال ، بنو سليم) فهذا الزحف الجارف القوي في تنظيمه القبلي أضاف عنصرا على المجتمع المغربي وساهم في تثبيت (بلاد المغرب) الريفي في حياة البداوة والترحال القبيلة ليتسع إلى مفهوم ضرورة

الاستقرار وفق الظروف الملائمة للأفراد (سباعي، 2015: 192) وقبيلة ذوي المنيع كأى قبيلة لازمت الجهاد من اجل استمرارية الاستقرار حسب بعض المؤرخين بعد الهجرة بقوا في الساحل مدة سنتين من الزمن ثم عادوا واستقروا بين وادي درعة إلى وادي زوزفانة و من تافيلالت إلى واد الساوره استقرت القبيلة بعد مجيئها من الينبوع بالجنوب الجزائري ثم انتقل بعضها عن طريق الترحال والرعي إلى واحات واستقروا على طول الشريط الذي يربط بين قرية عين شواطر ومنطقة العبادلة بولاية بشار (العماري، 2017: 195) فأعتبرت من أوفر قبائل العرب حيث كان موطنهم بقفار المغرب الأقصى مجاورون لبني عامر من زغبة في مواطنهم بقبلة تلمسان، وينتهون إلى البحر المحيط من جانب الغرب، وهم ثلاثة بطون: ذوي عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان. فذوي عبيد الله منهم هم المجاورون لبني عامر ومواطنهم بين تلمسان وتاوريرت في التل وما يواجهها من القبلة. ومواطن ذوي منصور من تاوريرت إلى بلاد درعة فيستولون على ملوية كلها الى سجلماسة (ابن خلدون، 2004: 77). أما المصادر فتخبرنا أن جزءا من قبائل ذوي المنيع كانوا مستقرين قبل هجرتهم الى سهل سايس في الحدود الجزائرية المغربية وجزء آخر منهم كان استقراه في منطقة تافيلالت وبالضبط بسهل عبد الله بواد قير حيث كانوا يقضون معظم وقتهم قرب حقول القمح، كما يملكون أشجار النخيل بمنطقة زوزفانة، الذي كان يجعلهم يقيمون بالناطق ذاتها في أواخر سبتمبر الى اواخر نوفمبر لأنهم ارتبطوا روحيا بولي سيدي الغازي. (بنكري، 1999: 28).

وهذا ما أكدته لا مارتينيير أنهم من عرب المعقل واستوطنوا بلاد المغرب خلال القرن الحادي عشر ميلادي أبوهم الأول عبد الله بن عبد الكريم المعقلي وقد ترك خمسة أولاد وهم: سالم، بوعنان، إدريس، جلول ويوسف، وهؤلاء الأولاد هم الذين تفرعت منهم القبائل الخمس بحيث كونوا إتحادا فيدراليا بإسم ذوي المنيع (La Martinière, 1897: 584)، ضمن مكوناتها الأساسية وهي: الأسرة، العشيرة، البطن، القبيلة. هذه الأخيرة التي أخذت إسم ذوي المنيع الكبرى بدورها تتفرع إلى خمس قبائل فرعية هي تنظيم قبيلي يسمى خمسة أخماس، يشبه التقسيم الإداري، من أجل تقاسم كل ما له علاقة من الجانب السياسي للقبيلة، أو الاجتماعي أو الاقتصادي، ولماذا أختير رقم خمسة؟ وهذا لتقديرين واحد رمز القوة والوحدة، والثاني نسبة إلى أركان الاسلام الخمسة وهم:

- أولاد يوسف: وينقسمون إلى ست فروع وهي: أولاد عايد، أولاد سعيدان، أولاد أعمار، معرقبين لمرابطين وهوايشين.
 - أولاد بوحنان: بسبعة فروع: الذيابات، السوالم، العبادلة، أولاد عبد الواحد، خويصين، أولاد يعيش، والبقارة.
 - الأدارسة: ستة فروع وهي: أولاد رزوق، أولاد علي، أولاد نصير، أولاد طالب، لغيوث والتلالسة.
 - أولاد بلغيز: بسبعة فروع وهي: أولاد بوزيان، أولاد حمو، أولاد مطران، أولاد عيسى، أولاد جابر، أولاد العوفي، وأولاد يعقوب.
 - أولاد جلـول: بثلاثة فروع وهي أولاد رزاق، أولاد برحمـون، ول مساعدة (بعالي، دس، 16-17).
- إن هذه التشكلية والتنظيم الإجتماعي وفق هذا التقسيم الفرعي قد أملت الظروف المعيشية لضمان استمرارية البقاء، فكان لزاما على ذوي المنيع تكوين إتحاد بغرض تأسيس مجتمع حصين، متفوقة بذلك على نظم القبائل الأخرى التي زامنتها، وذلك بفضل مقوماتها البشرية وخصوصياتها وعاداتها وتقاليدها التي أجبرت القبائل الأخرى إلى تشكيل إتحاد معها ضمن مصالح مشتركة، وتوطيد العلاقات الإجتماعية لحماية الأمن والاستقرار ونذكر من ذلك ان قبيلة ذوي المنيع قد دخلت في معارك عديدة مع قبائل الغنانمة التي كانت مستقرة على ساحل المحيط الاطلسي من جهة تفيلالت اضافة الى قبيلة بني قومي بمنطقة تاغيت وبفضل تنظيمها استولت على ممتلكاتهم من نخل وارااضي فلاحية وهذا ما جعلها تفرض سيطرتها ما فرض عليها ضرورة الحفاظ على نفوذها بمنطقة الساوره (مجايب، 2015: 188) و بناء هيكل سياسي واجتماعي واقتصادي منظم يسير وفق احتياجات القبيلة والمنطقة.

4. الهيكل التنظيمي للقبيلة:

1.4 التنظيم السياسي:

والذي يرتبط بالمجال الجغرافي وحدوده، وكذا التواجد السكاني من حيث التعداد والهيكل المسير للقبيلة وفق أحكام ثابتة، وضمن قوانين إجبارية لا تغيير ولا تبديل فيها لضمان سلامة الحكم وفعالية تطبيقه، وقسم على الشكل التالي:

المجال: إن المجال الصحراوي وطبيعته الجيولوجية وتكوينه النمطي أجبر قبيلة ذوي المنيع على حتمية التناسق والإنسجام مع الظروف التي تثبت وجود الأقوى ما جعلها تشكل تنظيم سياسي إنطلاقاً من الحدود الجغرافية لمساعدتها في بناء علاقات مختلفة مع القبائل والمناطق المجاورة لتواجدها. هذا كله أنشأ نظام قبلي في شكل جماعات ليتمكنوا من التنقل كوفود هدفها فتح علاقات وضمان الأمن والاستقرار في البادية وصولاً إلى الحواضر.

مجلس الشورى: ما يصطلح عليه "المشيخة" الذي يختص بأمور عقد الحرب ووضع قواعد الصلح والرأي في الشؤون الداخلية والخارجية للقبيلة، ويصل عدده في قبيلة ذوي المنيع إلى أربعون عضواً منبثقة من المجموعات الخمسة وفق كفاءة كل أفراد المجموعة وبما يخدم هذا مجلس.

الرئيس: وهو شيخ القبيلة الذي تجتمع عليه كلمتها وعادة ما يكون أكبر سناً وأشد مراساً وتجربة يعينه مجلس الشورى.

القوانين: وهي مجموعة من القرارات الثابتة والأعراف المنبثقة عن عادات وتقاليد الأجداد، تحدد الأحكام وتبين الحلال والحرام ولا يختلف تطبيق القانون عن تطبيق العرف عند ذوي المنيع وهذا ما يسمى ضمن ظاهرة العصبية. (مزوري، 2017: 122).

2.4 التنظيم الاجتماعي:

إنّ الأطر السياسية للقبيلة فرضت طابع اجتماعي يهدف بالأساس إلى استمرارية البقاء وضمن حاضرة من العادات والتقاليد التي أخذت صيغة الأعراف بما يخدم التشكيل السياسي للقبيلة.

الزواج: يشكل الزواج لدى ذوي المنيع الركيزة التي تقوى بها القبيلة خاصة وأنها ترى القوة في العدد، كما تشجع القبيلة على الزواج المبكر وعلى كثرة النسل وعلى تعدد

الزوجات. وتحبذ القبيلة أن يكون الزواج بين بني العمومة ثم الذين يلونهم ، ولا يخرج الزواج إلى خارجها إلا في حالات نادرة أو لضرورة بعينها. لإعتبارات خاصة منها الحرص على بقاء أفراد العائلة الكبرى داخل سياجها والاطمئنان إلى أن بنت العم لا ينجر عن الارتباط بها أية مشاكل لتعودها على أفراد هذه العائلة التي شبت وترعرعت فيها، ولا يشعرون بأي تغير طارئ على طبيعة العائلة الكبرى. وليس للمرأة أن تعترض على زواجها حتى لو كانت غير راغبة في ذلك العريس لإعتبارات كثيرة منها: الحياء ، وتقديم كلمة الشيوخ على الرغبة الخاصة ، والحرص على إرضاء الوالدين .وهو نمط سلوكي كرسته القبيلة في إخضاع المرأة للرجل وإعطائه الأفضلية مقابل ما يقوم به خدمة لها .كما كان تعدد الزوجات شائعا في قبيلة ذوي المنيع لا يعترض عليه أحد ولا يتحرج منه أحد .فقد كان بعض رجال القبيلة يعمدون إلى تعدد الزوجات إثنين إلى أربعة نساء .وهم إنما يفعلون ذلك لمصلحة خاصة كمرض الزوجة الأولى أو عقرها ، أو ترميل ابنة العم أو العمة أو الخال أو الخالة ، أو طلبا للمساعدة والخدمة إذا كان دائما في حدود القبيلة ونادرا ما يتجاوزها (جماعي وآخرون، 2015: 10).وقد سنت لذلك أعرافا وتقاليد تساعد على تحقيق هذه المهمة بل قد تلجأ بعض الأمهات إلى دفع المال للشعراء من أجل قول الشعر في بناتهن كنوع من الإشهار لهن .لهذا أعتبر الزواج نظام إجتماعي يضمن سلامة القبيلة ويحفظ نسلها ويقر إستمرارها رغم تواجد بعض السلبيات في أعرافه التي وضعتها القبيلة لكن إرتباطه بالتنظيم السياسي جعله يخدم مصالح القبيلة أكثر من الفرد الذي يعتبر كجزء محرك لها وخاضع لقوانينها وأعرافها .

3.4 الموروث الثقافي:

إن الحياة الثقافية لقبيلة ذوي المنيع إرتبطت بنسقتها الإجتماعي وفي إطارها الجغرافي ،ونذكر منها وسائل الترفيه التي انبثقت من عادات وإحتياجات أفراد القبيلة لها مادام أنهم يقومون بأشغال كثيرة وشاقة ، فهم يحتاجون إلى شيء من الترفيه الذي يحقق الراحة ويكسر روتين الحياة اليومية ،ولذلك إجتهد أفراد القبيلة في ابتكار طرق منها: قول الشعر والذي مثل وسيلة إتصال رفيعة المستوى أعطت للشاعر إجلالا وتقديرا بل أصبح لسان القبيلة .يرفع من قيمتها ويزيد في هيبتها ويدافع عنها ويهاجم من يريد مسها بسوء من القبائل الأخرى .ومنها رواية القصص والأحادي ،والمسامرات الليلية (مزوري،

222:2017) التي تروض العقل على فهم الأحداث واستخلاص العبر والاستفادة من تجارب وخبرة الماضي بما يساعد على حسن إيجاد الحلول لما يعترضها من مصاعب ومشاكل في الواقع كما اهتموا بالرقص، أهمها رقصة هوبي والتي اعتبرت موروث ثقافي لما تحمله من تعابير شعبية، وهي عبارة عن رقصة فلكلورية مميزة ارتبطت بقبيلة ذوي المنيع يرددون فيها أغاني تشمل مختلف المجالات كالحرب والغزل والمدح وغالبا ما تأخذ الطابع الديني في بداياتها لأنها في أغلب الأحيان ترتبط بالإحتفالات المقدسة لدى سكان ذوي المنيع مثل الزواج أو الختان أو النصر، والتي إكتسبتها عبر مراحل مختلفة من التاريخ، كما تعتمد في كلماتها على الشعر الملحون .

وهذا ما يدل على اهتمام أبناء القبيلة منذ القدم بالجانب الفني والأدبي، خاصة الأدب الشفوي ومنه الشعر والحكايات الشعبية والرقص والموسيقى إذا اعتبر الشعر عندهم مميزا للصدق والأصالة، وهو يعتمد تارة على القافية واختلافها مرة أخرى، وهي قافية خاصة بهذا النوع. اما من حيث المواضيع نجد المواضيع العاطفية، والمواضيع الزواج والطلاق وكل ماله علاقة بقضايا قبيلتهم من حيث الوضع المعيشي كالفلاحة والتجارة والصناعة التقليدية وغيرها، بالاعتماد على الغزل والوصف والهجاء. وقد كان الشعر اهم ما أنتجه أبناء القبيلة إذ يعتبر بمثابة رصيدهم الفكري والأدبي.

أما الرقص عند قبيلة ذوي المنيع فن رفيع يستجيب للظروف والمناسبات الطبيعية والاجتماعية ". تتعدد الرقصات عند هذه القبيلة الى رقصة العامة، ورقصة لعلاوي، ورقصة هوبي، باستثناء رقصة هوبي فان باقي الرقصات تكون بواسطة الرجال في حين تكون الرقصة بواسطة النساء والرجال، وذات أهمية بالغة في نفوس أبناء القبيلة. (يونس، 1991: 44). وهذا يرجع انها ليست احتكارا على فرقة متخصصة بل احتكاك لبشباب بها وبأعرافها هو الذي يولد حب التعاطي لهذه الرقصة حيث إن كل منيعي له أحقية في ممارستها شريطة إتقانها.

الرياضة: لم تتخذ القبيلة الرياضة كهدف لتحقيق المتعة وفقط بل رأت فيها وسيلة للتدريب البدني والتحضير للمعارك العدوانية والدفاعية. فالقبيلة في الصحراء لم تكن لتدافع عن نفسها بل تضطر في بعض الأحيان إلى التّعدي على غيرها، لأسباب اقتصادية أو اجتماعية. ومن الرياضيات التي اعتمدها: الفروسية، سباق الخيل والإبل،

السباحة، المصارعة البدنية وكرة العصي. إضافة إلى وجود ألعاب العقل مثل: لعبة السيق، الضامة التي تشبه الشطرنج، فك الألغاز. وكلها نماذج إيجابية لألعاب تنمي القدرة العقلية للفرد (بعالي، دس: 26).

كما اعتبر الرقص عندهم احد الفنون الرياضية التي تنشط أبدانهم وتريح عقولهم وذلك كشكل من أشكال التعبير عن المشاعر والأحاسيس والخلجات سواءاً في احتفالات العادية أو الرسمية أو حياة اليومية لأنها تعتمد على حركات رياضية يعبر عنها بواسطة التصفيق ورب الأرجل مع وجول التناسق التام بين حركات وموسيقى الإيقاع كما عرف عند الشعوب القديمة ما جعل المبدأ الشمولي الاجتماعي والجسدي ترتبط ارتباطاً متيناً لان حركة الجسد هنا تحتاج الى لغة الامتياز والإتقان والتركيز في كل تمايل أو إشارة لأنه ترسل رسالة معينة وفق الهدف من تأديتها ولهذا هي كانت تغذية وراحة للجسد والفكر والروح في نظرها .

4.4 التنظيم الاقتصادي:

الحياة في المجتمع تقوم على الاقتصاد ولذلك أقامت قبيلة ذوي المنيع نظاماً اقتصادياً يحقق لأفرادها العيش بما يسمح لهم بإستمرارية ،حيث قام اقتصادها على تربية الأغنام والإبل كأهم رأس مال ،والاشتغال بالزراعة في مواسم بعينها .وعلى هذا الأساس تقوم المبادلات التجارية مع القبائل أخرى من خلال بيع المنتج في الأسواق القريبة والبعيدة .وقد لجأت بعض الأحيان في أوقات الشدة والقحط والجفاف إلى الغزو والسلب باستهداف القبائل الضعيفة ومباغطة القبائل القوية .كما إعتمدت نظام حماية القبائل الصغيرة مقابل إتاوات يدفعونها لها. ما جعل قبيلة ذوي المنيع تبني لها صرحاً إقتصادياً يحقق لها الإكتفاء الذاتي في المحاصيل الأساسية وذلك من خلال الإستثمار في المناطق الزراعية التي استوطنتها، منها سهل العبادلة الذي يعتبر أكبر مشروع زراعي وأهلُهُ ذوي المنيع من خلال نشاطاتهم فيه مثل زراعة القمح والشعير، ومكان للرعي وتربية المواشي والإبل، ما جعلها تؤمن جانب المياه من موقع واد قير وضاية الطيور. التي مثلت في فترات زمنية غير بعيدة الإقتصاد الأساسي لسكان القبيلة منافسة بذلك غيرها من القبائل.

5.4 التنظيم العسكري:

إنّ تنظيم المجتمع القبلي فرض على القبائل الصحراوية تنظيم عسكري خاصة وأن معظم القبائل لم تصل في فترات سابقة لفهم إستراتيجية التنظيم المتعارف عليه اليوم، سواء من حيث التعداد أو الوسائل لهذا ارتبط بالجانب الاجتماعي والاقتصادي، فنجد أنه توزع من خلال مهام مختلفة أولها سياسة التحالف، ومناطق النفوذ، والتعداد السكاني على حسب التواجد.

نظام الإتحاد والجماعة: هيمن ذوي المنيع على منطقة الجنوب الغربي منذ أن وطأت أرضه أقدامهم بداية من القرن العاشر ميلادي، وذلك من خلال خصوصياتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وبفضل هذه العوامل شكلوا إتحادا كبيرا مع أولاد جرير الذين وجدوهم بالمنطقة مشكلين بذلك إتحاد زقدوا لتحقيق وضمان الأمن والاستقرار للقبيلتين. ومنها أصبح أولاد جرير يشكلون الجزء السادس من قبيلة ذوي المنيع بشكل عضوي حيث اختص هذا الاتحاد بالمهام التالية:

- تمثيل الإتحاد لجميع المحافل وفي جميع الظروف (الحرب والسلام).
- العمل على حماية وتقنين وتنظيم أشغال السقي في السهل والعمل على حفر الآبار ووضع السواقي.
- تعبئة أفراد إتحاد القبيلة إلى الحرب والمعارك من خلال التدريب الميداني.
- تنظيم القضاء بإنشاء محكمة حقيقية تحقق في الجرائم والمخالفات العادية وإصدار الأحكام يكون من طرف قضاة ورجال الدين ومجلس الشورى "المشيخة".
- إنتخاب "لآيت عَرَبَايْن" وهي عبارة عن منظمة مصغرة تضم رجال أمن مكلفين بحفظ النظام العام في القبيلة (بعالي، دس: 64).

الجمعية العامة: تتكون الجمعية العامة من ممثلي كل المنطوين تحت لواء الإتحاد ولا يمكن استدعاؤها للإنعقاد إلا تحت ظروف استثنائية خطيرة تتعلق بأمن الجميع، وفي هذه الحالة فقط يقرع الطبل من أعالي أم الطبول حتى يصل صدهاء إلى أبعد نقطة في المنطقة بترديده من مختلف الدواوير بصفة متتالية، وتسمح هذه الطريقة في التواصل

بانعقاد الجمعية العامة في ظرف زمني قصير لتقرر على عجل ما يمكن اتخاذه من تدابير.
(La Martinière, 1897:108)

التحضير لحمل السلاح : يقرر استعمال السلاح من طرف الجمعية العامة وفي هذه الحال تعبئ كل قبيلة سوقة من الجند في حدود خمسة أسداس لذوي المنيع وسدس لقبيلة أولاد جرير، وتقدم القبيلة وفقاً لهذه النسبة ما يكفي من المواد الغذائية وغيرها من المؤونة لتغطية ضروريات الحرب والمعارك. ومن المتفق عليه ضرورة حمل السلاح من طرف كل القادرين عليه دون أخذ عامل السن في ذلك، كما تعين الجمعية العامة شيخاً مهمته الأساسية إدارة الأعمال الحربية، ويخضع اختياره لعدة مقاييس وشروط يحددها مجلس الشورى، وله واجب الطاعة والاحترام (بعالي، دس: 70). مع توغل الإستعمار الفرنسي في منطقة الجنوب الغربي الجزائري تغير التنظيم العسكري للإتحاد الزقادي حيث رأت فيه قبيلة ذوي المنيع بحكم تعدادها لابد من تزكية هذا الحلف بقبائل أخرى وهذا ما ذكر في مجلة الجزائر الفرنسية: "تحدث فيه عن كنفيدرالية زقدوا هي عبارة عن أربعة قبائل تجمعها عسكري أكثر منه مدني، وهي: قبيلة عمور زقدوا ضواحي الأغواط، ذوي المنيع، بني قيل، وأولاد جرير. (16 : 1870, confédération des zegdou)، خاصة بعد هجرات كل من سكان بني ونيف وعين الصفراء والبيض إلى مناطق الحلف الذي رأت أن الجهاد أصبح فرض عين على كل قبيلة من خلال القيام بحملات تحسيسية حول ضرورة التصدي للكفار، وذلك باعتمادهم على نظام حرب العصابات وهذا ما جعلهم لا يخضعون لأي سلطان، حيث لقبوا بقبيلة السبّا يعني موطن الحرية (بن علي، 2013: 25-28)، وهذا ما يبرر اعتبار الصحراء لدى الفرنسيين أرض عراء لا يملكه أحد، وذلك أغراض استعمارية لكن نظام المجتمع القبلي أوقف المشروع الفرنسي من خلال الدفاع عن المنطقة عبر عدة مراحل مختلفة، والتي أسهمت بطريقة غير مباشرة في حماية الحدود الشاسعة من منطقة الصحراء ما أدى إلى تعطيل التحامهم كما عُهدَ عليهم في السابق لعشرات السنين. جهاد حلف زقدوا (ذوي المنيع و ولاد جرير عام 1870 ضد الاستعمار الفرنسي. كما شارك حلف زقدوا في ثورة أولاد سيدي الشيخ منذ بدايتها سنة 1864 حيث لقنوا درساً آخر والمتمثل في الهجوم على قوات دوكولومب يوم 16 مارس 1866 بين حطاب (قرب فندي ببني ونيف) تعرف هذه المعركة لدى - زقدو- تحت تسمية - معركة مقطع

الرومي- ومنهم من يسميها - معركة البحريرات - إما الغزاة الفرنسيون فيطلقون عليها تسمية - حملة وينفان على وادي قير كما وحدث هذه الحملة بين قبائل الجنوب الغربي لمواصلة المقاومة والتصدي للمحتل أصبحت المنطقة وأكثر من إي وقت مضى ملجأ أمتنا لكل من أعلنوا انشقاقهم عن فرنسا عطلت هذه المعركة احتلال منطقة الجنوب الغربي لأكثر من ثلاثين سنة. كما شارك حلف زقدو في ثورة أولاد سيدي الشيخ منذ بدايتها سنة 1864 حيث لقنوا درسا آخر والمتمثل في الهجوم على قوات يوم 16 مارس 1866 بين حطاب قرب فندي ببني ونيف. (Lihoreau, rapport : 1870)

5. خاتمة:

إنّ المجتمع القبلي لذوي المنيع اكتسب طابع إيجابي وسلبي وذلك وفق الظروف التي سايرتها القبيلة، فتشكيل نظامها وفق أسس سياسية اجتماعية وكذا الاقتصادية والعسكرية مكّنها من الحفاظ على موروثها الثقافي، وكذا مجالاتها الجغرافية، ما جعلها تساهم بشكل كبير في وضع نظام منتظم يساعد الأفراد والجماعات على تسيير حياتهم. إضافة إلى المحافظة على العادات والتقاليد، ودمج الطابع الأدبي والديني لدى سكانها.

أنتج تنظيم القبيلة مرونة في العلاقات الأفراد داخل القبيلة الواحدة وإرادة استقلالية لدى أفرادها اتجاه أي سلطة جعلتهم يخضعون ويدافعون على مواقف الجماعة. ارتبط الدور الأساسي للقبيلة بروابط تقوم على أساس الوازع الاجتماعي والذي يمثله شيوخ القبائل وكبرائهم، وآخر ديني فالدعوة الدينية تمتن الروابط والصلات بين أفراد القبيلة لأن هذا الوازع لعب دور التهذيب مفهوم وشعور العصبية وتقوية أسسها لضمان الحماية والمدافعة المشتركة. وذلك ضمن قوانين سنّها ورأىها مناسبة لفترة من الفترات الزمنية فأعطت ثمارها في الفترة الاستعمارية، لتتأرجح اليوم ويكشف عن بعض تنظيّماتها بوجه تطبيق الأعراف وتبجيلها أكثر من متطلبات ورغبات أفرادها، ما يصيغ لنا قيمة التضحية من أجل الأرض والوطن وبما يخدم المصالح العامة.

إن رابطة الوطنية وشعور العصبية بين أفراد قبيلة ذوي المنيع حقق لها وجود رابطة اعتبرت محركا أساسيا وفاعلا في المنطقة من خلال التضحية خاصة وأنها امتزجت بالدين وواجب الحماية.

إنَّ محافظة القبيلة على بنيتها التقليدية سهل لها تواجدها ضمن أطرها الجغرافية والاجتماعية إلى يومنا هذا وأنَّ اختلفت فيها إيديولوجية الاستمرار.

لقد عملت قبيلة ذوي المنيع على تحقيق النظام وفرض الضبط من خلال ما ابتكرته من أعراف وعادات وسلوكيات ساهمت في إنتاج الفرد المنضبط والمتفاني في خدمة قبيلته لدرجة التي تفرضها هذه العصبية من تضحية بالمال والنفس خدمة للانتماء القبلي.

كما إن القبيلة في الصحراء الجزائرية وفي وادي قير على الخصوص قامت على أساس نظام متفق عليه يضمن لها الاستمرارية ويحقق النظام الداخلي لأفرادها بحيث يؤدي الالتزام به إلى الاستقرار والقوة والنصر.

ان حياة البداوة التي عاشتها هذه القبيلة وارتباطها بحياة الترحال والرعي كانت أحد أهم أسباب الحفاظ على كثير من خصوصيات الإنسان العربي كالتزام أفرادها بالقيم العليا مثل المروءة وأنفة الشجاعة والكرم وحسن الجوار ومحافظتهم على لغتهم ولهجتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

6. التعليقات:

التعليق رقم 01:

هنري دو لا مارتينيير: باحث اركيولوجي ذو جنسية فرنسية عاش في طنجة قرابة، 36 سنة كديبلوماسي فرنسي كما عمل على اقتحام ميدان البحوث الاثرية من خلال اجراء حفريات (1922/1858)، أهم دراساته: طريق فاس الى وجدة، اشعار بشأن المغرب، مذكرات مجتمع المغرب.

7. قائمة المصادر والمراجع:

• المراجع باللغة العربية:

1. ابن خلدون، عبد الرحمان، (2004)، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج2، ط3. بيروت، لبنان، دار الحزم.
2. برشان، محمد، (ديسمبر 2016)، "الإستعمار والمجتمع القبلي في الصحراء الجزائرية"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات التاريخية في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى سطمبولي معسكر.
3. بعالي، (دت)، الجنوب الغربي الجزائري زقدو عزة وكفاح، ترجمة محمد ميلود منوني، (دطا)، دار الغرب الإسلامي.
4. بن علي، بوبكر، (2013)، "نشاط الحركة الوطنية في منطقة الساورة (1954/1940)"، مجلة الخلدونية، جامعة تيارت.
5. بنكرعي، حليلة، (1999)، قبائل جيش العرب سايس ما بين الرواية الشفوية والمصادر الموثوقة (1832-1912)، مكتبة دار السلام، الرباط.

6. بوزيان، بن علي محمد، (1987)، *واحة فكيك*، دط، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب.
7. بوطالب، محمد نجيب، (2002)، *سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي*، (ط1)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
8. جماعي، وآخرون، (2015)، *بحث حول دائرة العبادلة*، مقياس علم السكان، تخصص علم إجماع عمل وتنظيم، إشراف دكتور بن عمارة، جامعة طاهري محمد بشار،
9. حركات، إبراهيم، (1984)، *المغرب عبر التاريخ*، دط، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء.
10. سباعي، سيدي عبد القادر، (جوان 2015)، "الاستعمار الفرنسي والنظام القبلي في الجزائر (بين التفكيك والتكيف)"، *مجلة الدراسات، العدد 7*، جامعة طاهري محمد بشار.
11. غربال، شفيق، (1987)، *الموسوعة العربية الميسرة*، (دط)، دار الإحياء للتراث العربي، بيروت، لبنان.
12. العمري، الصديق، (2017)، *درعة تافيلالت فنون الفرجة، الأنماط الثقافية والمجتمع*، دط، الراشدية، المغرب.
13. الغامدي، سعيد فالح، (1990)، *البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية*، ط5، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.
14. محاييب، نور الدين، (2015/2014)، *الأطر الثقافية للهوية والمرجعيات المقدس، دراسة أنثروبولوجية لطبقة التكتل السكاني بالجنوب الغربي*، أطروحة دكتوراة، جامعة احمد بن بلة 2، وهران.
15. العريخ، المختار، (1984)، *دراسة ميدانية ونظرية في شعر قبيلة ذوي المنيع*، دط، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب.
16. مزوري، مومن، (2018)، "النظام القبلي في الجنوب الغربي الجزائري ذوي المنيع نموذجا"، *مجلة الافاق العلمية، العدد 2*، رقم المجلد 9، المركز الجامعي بتمنراست.
17. يونس، عبد الحميد، (1991)، *التراث الشعبي*، دط، مطبعة النجاح، القاهرة، مصر.
18. روس، إ.دان، (2006)، *المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربية المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية (1881-1912)*، تر: احمد ابو حسن، منشورات زاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

المصادر باللغة الأجنبية:

19. De La Martinière, (H.M.P), Lacroix. (N), Documents Pour Servir à L'Étude Du Nord-Ouest Africain, T2, Gouvernement General De L'Algérie, Alger, 1897, p584.
20. Michel Lihoreau Rapport: Du General Wimpffen Napoléon 03 Collection Racines Du Présent Expédition Wimpffen A L'oued Guir En 1870.
21. Confédération des zegdou, Revue algérien francisée, Édition 18-mai 1870 Algérie France.